التفاحات الثلاث

بقلم : أ . عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ . إسماعيل دياب
إشراف : أ . حمدى مصطفى



يُحكَى أنَّ الْخليفـةَ (هارونَ الرشِيـدَ) كـانَ مـشْـهُـورًا بالتَّنَكُّرِ والتَّـخَـفِّى ، والْخـروجِ منْ قَصْرِه ليْلاً ، لتَـفـقُّدِ أحْوالِ الرَّعِيَّـةِ والحُكَّامِ ، حـتـى يَرُدَّ الْمظالِمَ إلى أهْلِـهـا ، ويُنْصِفَ المظْلومَ منَ الظَّالمِ ، ويَقْتصَّ منَ الْظالمِ للْمَظْلوم ..

ويُحْكَى أنَّه خـرجَ معَ وَزيرِه (جـعْفَر) وسَيَّافِهِ (مَـسْرُورٍ) ذاتَ ليْلـةٍ مُـتَنَكِّرِينَ ، فـسَـاروا فى شـوَارعِ مَدِينَـةِ (بَغْدَادَ) ومَـرُّوا فى أسْواقِهِا ، حتى مَرُّوا بزُقَاقٍ ضَيِّقٍ ، فشاهَدُوا شَيْخًا كبيرًا يَحْمِلُ على كـتـفِهِ شَبَكَةً ، وعلـى رأْسِه قُفَّـةً ، وفى يَدِه عَـصَا ، وشَكْلُهُ يوحِى بالْبُؤْسِ والْفَقْرِ ، وهو يُنْشِدُ شِعْرًا مُؤَثِّرًا يَشْكو فيهِ حالَهُ وفَقْرَهُ ، فتعَجَّبَ الْخليفةُ ، وقالَ لِوَزِيرِه (جَعْفَر) :

- أَحْضِرِ هذا الشَّيْخَ ، لِنَنْظُرَ حكايَتَه ، لأَنَّ حالَهُ وكلامَهُ يُدلانِ على شِدَّةِ فَقْرِهِ واحْتياجِهِ ..

فأَحْضَرَ (جعْفَرُ) الشَّيْخَ ، وأَوْقَفَهُ أمامَ الْخليفَةِ ، فقالَ له :

- ما هِيَ حِكايَتُكَ أَيُّها الشَّيْخُ ، ولِماذا تمْشِى حَزِينًا فى مِثْلِ هذا الْوَقْتِ مِنَ اللَّيْلِ ؟!



فقالَ الشيْخُ :

- أنا صيَّادٌ يا سَيدى ، وعِنْدى عِيَالٌ كَثيرونَ .. لقَدْ خَرَجْتُ مِنْ بَيْتى إلى الْبَحْرِ مُنْذُ الصَّباحِ ، وظَلَلْتُ أُلْقِى شَبَكَتِى ، لكنَّ اللَّهَ تعالَى لَمْ يقْسِمْ لى رِزْقًا ، أَقُوتُ بهِ عِيالى ، حتى هذا الْوَقْتِ ، ولذلِكَ كَرِهْتُ نَفْسِى ، وكَرِهْتُ أنْ أَعُودَ إلى بَيْتى بدُونِ رِزْقٍ ..

فقالَ الْخليفةُ :

- هلْ تعُودُ مَعنَا إلى شَاطِئِ (دِجْلَةَ) وتُلْقِى شَبكَتكَ فى الْماءِ

على بَخْتِى ، وأىُّ شىْءٍ طلَعَ فى الشَّبكَةِ اشْتَرَيْتُه مِنْكَ بمائَةِ دينارٍ ، حتى ولوْ كَانَتْ سَمكَةً واحِدَةً ؟!

ففَرِحَ الصَّيادُ بهذا الْعَرْضِ الْمُغْرِى ، ورجعَ معَهُمْ إلى شَاطئ (دجْلَة) ، فرمَى شبكَتَهُ ، وانْتَظرَ قليلاً .. ثم جَذَبها ، فوجَدَها ثَقِيلَةً جدًا ، ولمْ يقْدرْ على إخْراجِها مِنَ الْماءِ ، حتى سَاعَدهُ (جَعْفَرٌ) و(مَسْرورٌ) ..

وكَمْ كانَتْ دَهْشَةُ الْجميع ، عِنْدما وجَدوا فى الشَّبَكَةِ صُنْدوقًا كبيرًا مَقْفولاً ، فأعْطَى الْخليفَةُ للصَّيَّادِ مِائَةَ دينَارٍ - كما وَعَدَهُ - وأَمَر وزِيرَهُ وسَيَّافَه بِحَمْلِ الصُّنْدوقِ إلَى الْقَصْرِ ..

وفى الْقَصْرِ أَمَرَ الْخليفَةُ بفَتْحِ الصُّنْدوقِ ، فلمَّا فتَحَهُ (جَعْفَرٌ) و(مَسْرُورٌ) وجَدا فِيه صَبِيَّةً مَقْتولَةً ، وجْهُهَا كأَنَّهُ الْبَدْرُ فى لَيْلَةِ تَمامِه .. فتَأثَّر الخليفَةُ ، وسالَتْ دُمُوعُهُ علَى خدِّهِ حُزْنًا على القتيلَةِ .. ثم صاحَ فى وَزِيرِه (جعْفَرَ) :

- لا بُدَّ أَنْ أقْتَصَّ لهذهِ الصَّبِيَّةِ مِمَنْ قتَلَها .. اذْهَبْ وابْحَثْ عَنْ قاتِلِ هذه الصَّبِيَّةِ ، حتى أَقْتُلَهُ بقَتْلِهَا ، وإلاَّ قتَلْتُكَ مكانَهُ ..



فقالَ (جَعْفرٌ) :

- سَمْعًا وطاعةً يا أَميرَ الْمُؤْمنينَ .. فقَطْ أَعْطِنى مُهْلَةً ثلاثَةَ أيَّامٍ ،

حتى أبحَثَ عَنِ الْقاتلِ وأُحْضِرَهُ ..

فقالَ الْخليفَةُ :

- لقدْ أمْهلْتُكَ ثَلاثةَ أيَّامٍ ..

غادَرَ الْوزيرُ (جَعْفرُ) قَصرَ الْخليفَةِ ، مهْمُومًا وهو لا يَدْرِى ، كَيْفَ يفْعَلُ فى هذه الْمُصِيبَةِ ، التى حلَّتْ على رأْسِه ، وقالَ فى نَفْسِه :

ـ مِنْ أَيْنَ أَعْرفُ قاتِلَ هذه الصَّبِيَّةِ ، حتَّى أُحْضِرَهُ له ؟! وإنْ أَحضَرْتُ له شخْصًا غَيْرَهُ أَمَر بقَتْلِه ، ويصيرُ ذَنْبُهُ فى رَقَبَتى ..

وتَوجَّه الْوزيرُ (جعْفرُ) إلى بَيْتِه ، فمَكَثَ فيهِ ثلاثَةَ أيَّامٍ ، وهوَ لا يَدْرى كيْفَ يهْتَدِى إلى الْقاتِلِ ، حتى انْتَهتِ الْمُهْلَةُ التى حدَّدها لهُ الْخليفةُ ..

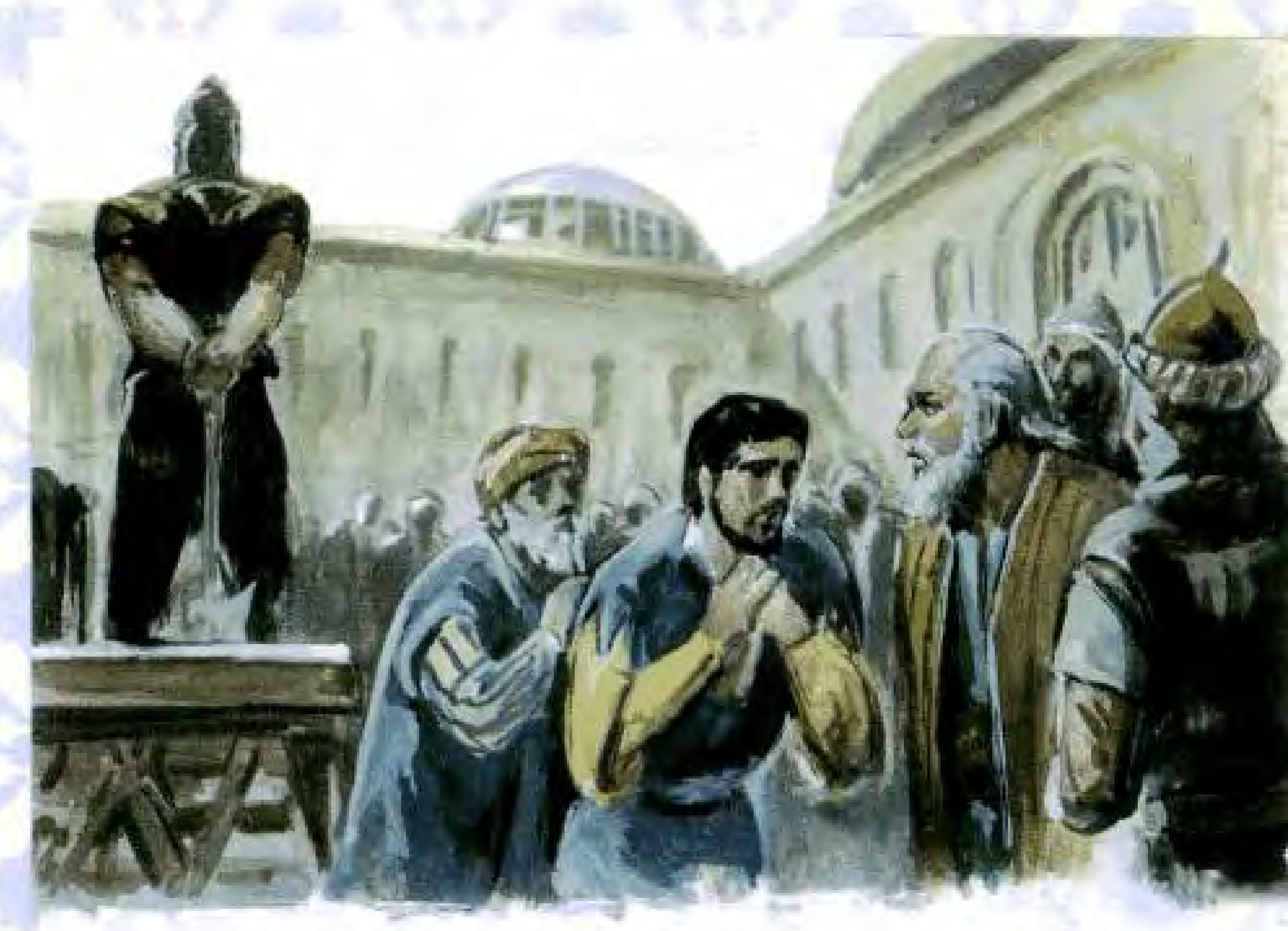
وفى الْيومِ الرَّابعِ أَرْسَلَ لهُ الْخليفَةُ ، فلمَّا وقَفَ بَيْنَ يدَيْهِ ، قالَ لهُ الْخليفةُ :

ـ أَيْنَ قاتِلَ الصَّبِيَّةِ يا جَعْفَر ؟!

فقالَ (جعْفَرُ) :

ـ يا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ ، هلْ أنا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، حتى أَعْرِفَ الْقاتِلَ ؟!

فلمَّا سمِعَ الْخليفَةُ ذلك ، اغْتَاظَ غَيْظًا شَدِيدًا ، وأَمَر بصَلْبِ



(جَعْفَرَ) على بَابِ قصْرِهِ ، وأَمَرَ الْمُنادِينَ أَنْ يُنَادُوا فى شَوارِعِ (بَغْدَادَ) : مَنْ أرادَ الْفُرْجَةَ على إعْدامِ الْوزيرِ (جَعْفَرَ) الْبَرْمَكِيِّ ، فلْيَخْرُجْ لِيتفرَّج علَيْه ، فخرجَتِ النَّاسُ مِنْ أحْياءِ (بغْداد) ليُشاهِدوا تنَفْيذَ الْحُكْمِ فى الْوَزيرِ ..

أَخَذ حَرَسُ الْخليفَةِ يُعِدُّونَ الْعُدَّةَ ، لِتَنْفيذِ الْحُكْمِ ، مُنْتَظِرِينَ الإِذْنَ مِنَ الْخليفَةِ لبَدْءِ التَّنْفيذِ ، وبَيْنَما همْ على هذه الْحالِ ظَهرَ شابٌّ ، وشَقَّ الزِّحامَ ، حتى وصلَ إلى (جَعْفَرَ) فقالَ لهُ :

- أيُّها الْوزيرُ ، أَنَا قـاتِلُ الصّبِـيَّـةِ ، التى وجـدْتمُوها فى الصُّنْدُوقِ بِنَهْرِ دِجْلَةَ ..

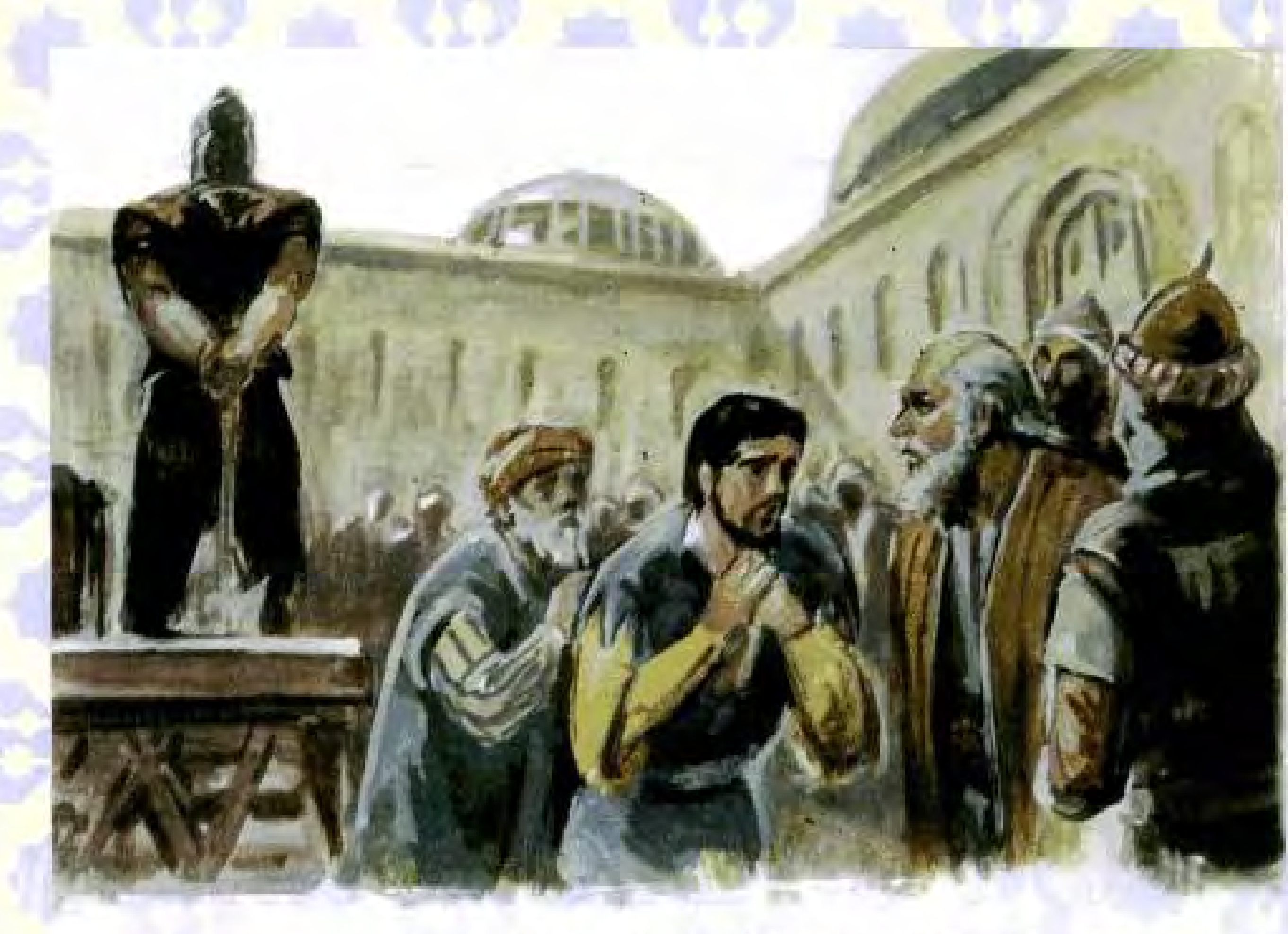
فلمّا سمعَ (جعْفَرُ) كلامَ الشّابِّ ، فرِحَ فَرَحًا شديدًا بِخَلاصِ نَفْسِهِ مِنَ الْموتِ ، وبيْنما هما على هذه الْحالِ ، رأَى (جَعْفَر) شَيْخًا كبيرًا يَشُقُّ الزِّحامَ حتى يَصِلَ إلَيْه ، ثمَّ يصيحُ قائلاً :

- أيُّها الْوزيرُ ، لا تُصَدِّقْ كلامَ هذا الشّابِّ ، فأنا قاتِلُ الصَّبيَّةِ الذى تَبْحَثُونَ عَنْه ..

وحاولَ الشّابُّ أَن يَنْفِىَ التُّهْمَةَ عنِ الشَّيْخِ ، ذَاكرًا أَنَّهُ هو قاتِلُ الصَّبِيَّةِ ، كما أصرَّ الشَّيْخُ على أنَّهُ هو قاتِلُ الصَّبِيَّةِ ..

وهكذا راحَ كُلٌّ مِنْهـما يَنْفِى ، التُّـهْمَـةَ عنِ الآخرِ ، ويُحاولُ إلْصاقها بنَفْسهِ ، طالبًا مِنَ الْوزيرِ أنْ يُعَجِّلَ بتَنْفيذِ حُكْمِ الْمَوْتِ فيهِ .. فلما رأَى الْوزيرُ (جعْفَرُ) ذلكَ أَخذَ الشّابَّ والشَّيْخَ ، وتوجَّه إلى قصْرِ الْخليفةِ ، فقالَ له :

- لقَدْ أحْضَرْتُ لكَ شَخْصَيْنِ ، كلٌّ مِنْهما يدَّعى أَنَّهُ هو قاتِلُ الصَّبِيَّةِ ..



فنظرَ الْخليفَةُ إلى الشَّابِّ والشَّيخ وقالَ لَهما :

ـ مَنْ مِنْكُما قتلَ الصَّبيَّةَ ؟!

فاصَرَّ كلٌّ مِنَ الشَّابِ والشَّيْخِ على أنهُ هو الذى قَتَل الصَّبِيَّةَ ، وأَنَّ الآخرَ بَرِيءٌ .. فلمَّا رأى الْخليفَةُ إصْرارَ كُلٍّ مِنهما ، قال لِوَزِيرِه :

خذِ الاثْنَيْنِ ، ومُرِ السَّيَّافَ (مَسْرورَ) أَنْ يُنَفِّذَ فيهما حكْمَ الْموتِ ..

فقالَ الشَّابُّ فى صِدْقٍ :

ـ وحَقِّ مَنْ رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ ، وبَسَطَ الأَرْضَ على مَاءٍ جَمَدْ ، أَنا الذى قتَلْتُ الصَّبِيَّةَ ..

وأَخذَ يصِفُ لهُ الْفتاةَ وملابِسَها والأَشْياءَ التى وُجِدَتْ مَعها داخِلَ الصُّنْدوقِ .. فتحقَّقَ الْخليفةُ أَنَّ الشابَّ هو قَاتِلُهَا ، وقالَ :

ـ ولكنْ لماذا قتَلْتَها ؟!

فَبدأَ الشَّابُّ يحْكى قِصَّتَه مع الْفتاةِ الْقتيلَةِ ، ذاكرًا لِلْخليفَةِ أَنَّهـا زوْجَتُهُ ، وابْنَةُ عَمِّه ، وأنَّ الشيْخَ هو أَبوها ، وأَنَّ اللَّهَ قدْ رزَقَهُ مِنْها بثلاثَةِ أوْلادٍ ، وأَنها مُنْذُ شَهْرٍ مَرِضَتْ مَرَضًا شَديدًا ، فأحْضَرَ لها الأَطِبَّاءَ ، حتى شُفِيَتْ ، فقالت له : إنها تشْتَهى أنْ تأْكلَ تفَّاحًا ، وأنَّه بحَثَ لها عَنِ التفَّاحِ فى سُوقِ الْمدينَةِ ، وفى بَسَاتِينِها ، فلَمْ يُوَفَّقْ إلى الْعُثورِ على تُفَّاحَةٍ واحِدَةٍ ، حتى يَشْتَرِيَها لها ..

وأَنَّ أحدَ باعةِ الْفاكِهَةِ قدْ نصَحَهُ بالذَّهابِ إلى بُسْتَانِ قصْرِ الْخَلِيفَةِ فى بَغْدادَ ، لأنَّ التفَّاحَ لا يوجَدُ فى مثلِ هذا الْوَقتِ مِنَ الْعامِ إلاَّ فى قصْرِ الْخليفَةِ ، بمَدِينَةِ (الْبَصْرَةِ) ..



ولما كانَ الشابُ مِنْ (بَغْدادَ) فقدْ سافَرَ إلى مَدينَةِ (الْبَصْرةِ) وقابَلَ بُسْتَانِيَّ قَصْرِ الْخليفَةِ هُناكَ ، فاشْتَرىَ مِنْهُ ثَلاثَ تُفَّاحاتٍ بِثَلاثَةِ دَنَانيرَ ذَهَبًا ثم حمَلَهَا عائِدًا إلى زوْجَتِه ، فوجَدَ أنَّ مَرضَ الْحُمَّى قَدِ اشْتَدَّ بها ، حتى أفْقَدَها وعْيَها ، فلما أعْطاها التُّفَّاحَ لم تَهْتَمَّ به ، ولمْ تأْكُلْ مِنْه ، بلْ تركَتْهُ إلى جَانِبِها ..

ووَاصَلَ الشَّابُ حِكَايَتَهُ قائلاً :

- ظلَلْتُ بجوارِ زوْجتي عَشْرَةَ أيَّامٍ ، حتى عُوفِيَتْ مِنْ مَرضِها ،

فَخَرجْتُ مِنَ الْبَيْتِ مُتَوَجِّهًا إلى دُكّانى ، حتى أُباشِرَ تجارَتى ..

وبَيْنَمـا أَنا جالِسٌ ذاتَ يَوْمٍ أمَامَ دُكّانى ، مرَّ علىَّ عبْدٌ أسْوَدُ ، وبيَدِه تفّاحَةٌ يلْعَبُ بها ، فلفَتَ ذلك انْتِباهى ، وقُلْتُ له :

مِنْ أيْنَ اشْتَرَيْتَ هذه التفّاحَةَ ، حتى أشْتَرِىَ مِثْلَها ؟!

فضَحِكَ الْعَبْدُ وقالَ : لمْ أشْتَرِها ، لكنَّنى كُنْتُ مسافرًا ، ولمَّا عُدْتُ مِنْ سَفَرِى ذهَبْت إلى حَبِيبَتى ، فوجَدْتُها مَرِيضَةً وعِنْدها ثلاثُ تُفّـاحـاتٍ ، قـالتْ لى إنَّ زَوْجَـهـا سـافـرَ إلى (الْبَـصْـرةِ) واشْتَراها بثَلاثَةِ دَنَانِيرَ ، فأخَذْتُ مِنْها هذهِ التفّاحَةَ ..

وتوقَّفَ الشابُّ عَنْ رِوايَةِ حِكايَتِه ذاهِلاً ، فقالَ له الْخليفَةُ :

ـ وماذا حدثَ بعْدَ ذلكَ ؟!

فواصلَ الشابُّ حِكايَتَهُ قائلاً :

ـ لمَّا سَمِعْتُ كلامَ الْعَبْد ، اسْوَدَّتِ الدُّنْيا فى وَجْهى ، فأغْلَقْتُ دكّانى ، وعُدْتُ إلَى الْبيتِ مُسْرِعًا ، والْغَضَبُ يمْلَؤُنى ، ونظرْتُ بجوارِ زوْجتى ، فلمْ أجدْ سِوى تفّاحَتيْنِ فقطْ ، فسألْتُها عَنِ التفاحَةِ الثّالِثةِ ، فأخْبَرَتْنى أنها لا تدْرى أيْنَ ذهَبتْ ..



وهنا تحققْتُ منْ كلامِ الْعَبدِ ، وهجَمْتُ علَيْها فقَتَلْتُها .. ثم وضَعْتُها فى هذا الصندُوقِ ، وحملْتُ الصُّنْدُوقَ ، فألْقَيْتُ بهِ فى نَهْرِ دجْلَةَ ، حَيْثُ عَثَرْتُمْ علَيْه ..

فلمَّا عُدْتُ إلى الْبَيْت وجدْتُ ولَدى الْكَبيرَ يَبْكى - ولمْ يكُنْ قدْ عَلِمَ أنَّنى قتَلْتُ والِدتَهُ - فسألْتُهُ عنْ سَبَبِ بُكائِه ، فقالَ لى :

لقدْ أخَذْتُ تفَّاحَةً مِنَ التفَّاحاتِ الثَّلاثِ التى عِنْدَ أُمِّى ، ونزلْتُ بها إلى الشارِعِ ، لألْعَبَ معَ رِفاقى ، فَمرَّ علَيْنا عبْدٌ أسْودُ وخَطِفَها

مِنِّى قائلاً : منْ أيْنَ أحْضَرْتَ هذه التفَّاحَة ؟! فقلْتُ له : لقدْ سافرَ أبى إلى الْبَـصْـرةِ ، واشْـتَـرَى ثلاثَ تُفَّـاحـاتٍ منْ أجْلِ أُمِّى الْمريضَةِ ، بثلاثَةِ دنَانيرَ .. وتوسَّلْتُ إلَيْه أنْ يُعيدَها لى ، لكنَّهُ أخذها وذهَب .. وأناخائِفٌ أنْ تضْرِبَنى أُمِّى ..

وانْهالَتْ دُمُوعُ الشَّابِّ غَزيرَةً ، وهو يُواصِلُ حديثَهُ قائِلاً :

ـ فلمَّا سمِعْتُ كلامَ ابْنِى علِمْتُ أنَّ الْعَبْدَ قدْ كذبَ علىَّ ، وأنَّنى قـتَلْتُ ابْنَةَ عَمِّى ظُلْمًا .. وجَلَسْتُ أبكى على قَتْلِها بُكاءً حـارًا ، حتى أقْبلَ عَمِّى وعلِمَ بما حدَثَ ، فجلسَ بِجانِبى يبْكى على فِراقِ ابْنَتِـهِ ، وأخَـذْتُ أتأسَّفُ على قَـتْلِهـا ، حـتى علِمْتُ أنَّ الْوزيرَ (جَـعْـفَرَ) سوْفَ يُقْـتَلُ بِسَبَبى ظُلْمًا ، فـأسْرَعْتُ إلى هنـا ، حتى تُعَجِّلَ بقَتْلى أيُّها الخليفَةُ .

فلمَّا سَمِعَ الْخليفَةُ ما حَدَثَ ، قالَ فى غَضَبٍ :

ـ واللهِ لا أَقْتُلُ إلاَّ ذلك الْعَبْدَ الْخبيثَ ، الذى تسبَّبَ بكَذِبِه فى قَتْلِ إنْسانَةٍ بَرِيئَةٍ ..

والْتَفتَ الْخليفةُ (هارونُ الرشيدُ) إلى وزِيرِهِ (جعْفَرَ) قائلاً :



ـ أُريدُ مِنْكَ أَنْ تُحْضِرَ لى ذلكَ الْعَبْدَ الْخبيثَ حتى آمُرَ بِقَتْلهِ ، وإذا لمْ تُحْضِرْهُ قتَلْتُكَ مكانَه .. أمَامَكَ مُهْلَةُ ثلاثَةِ أيامٍ .

غادرَ (جعْفَرُ) قصْرَ الْخليفَةِ ، وهو لا يَدْرِى ماذا يَفْعَلُ فى هذه الْبَلْوَى الْجديدةِ ، التى وقعَتْ على رأْسِهِ وقُوعَ الصَّاعِقَةِ ..

فجلَسَ فى بَيْتِه مُفَوِّضًا أَمْرَهُ إلىَ اللهِ ، وهو يَرْجُو أَنْ يُنْجِيَهُ هذه الْمرَّةَ ، كما نجَّاهُ فى الْمرَّةِ الأُولَى ..

وهكذا انْقَضَتِ الأَيامُ الثَّلاثةُ ، ولمْ يقفْ جَعْفَر للْعَبدِ على أَثَرٍ ، وفى الْيومِ الرابعِ جاءَهُ رسُولُ الْخليفَةِ ليذْهَبَ إليْهِ مُسْتَعداً لِلْمَوْتِ ، طالمَا أَنهُ لمْ يحْضِرِ الْعَبْدَ ، فقامَ (جعْفرٌ) إلى أهْلِهِ يودِّعُهمْ واحدًا واحدًا .. وعِنْدمَا مال على ابْنَتِهِ الصَّغيرةِ ليُقَبِّلهَا عثرَ على تفَّاحَةٍ فى جَيْبِها ، فسألهَا قائلاً فى دهْشَةٍ :

ـ مِنْ أَيْنَ أحْضَرْتِ هذه التفَّاحَةَ ..

فقالتْ لهُ إنَّها اشْتَرتْها بدينارَيْنِ مِنْ عَبْدهمْ (رَيْحَانَ) فأَحْضَرَ (جعْفرٌ) الْعَبْدَ ، وسألَهُ عنْ مصْدرِ هذه التفَّاحَةِ ، فحكى لهُ (رَيْحانُ) كيْفَ خطفَ التفَّاحَةَ مِنَ الطِّفْلِ ، وكيْفَ بكى الطفْلُ وحكَى له قِصَّةَ التُّفاحَاتِ الثَّلاثِ .. فعَلِمَ (جعْفَرُ) أنَّ الْعَبْدَ (رَيْحانَ) هو الْمطلُوبُ ، فقادَهُ إلىَ قَصْرِ الْخليفةِ (هارونِ الرشيدِ) ليلْقَى جزاءَهُ ..

(تمت)

رقم الإيداع: ٥٥٢٣ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى: ٦ ـ ٥٩٥ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧